

فوالله إنه - بعدَ مَقْدَمنا بأشهرٍ - مع أخيه لَفِي بِهِمْ^(١) لنا خَلَفَ بِيوتنا إذ أَنَا أَخُوهُ يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيُّ قد أخذهُ رَجُلَانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ فَسَقًا بَطْنُهُ، فهما يَسُوطانه^(٢) قالت: فخرجتُ أنا وأبوهُ نَحْوَهُ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْهَهُ^(٣) قالت: فَالْتَزَمْتُهُ وَالتَزَمَهُ أبوهُ، فقلنا له: مالِكُ يَا بُنَيَّ؟ قال: جاءني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعايني وشقًا بطني، فَالْتَمَسَا فيه شيئاً لا أَدْرِي مَا هُوَ، قالت: فَرَجَعْنَا إِلَى جَبَانِنَا، قَالَتْ: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خشيت أن يَكُونَ هذا الغلامُ قَدْ أُصِيبَ، فَالْحَقِيه بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ.

حليمة تخاف فترجع به إلى أمه

قالت: فاحملناه فقدمنا به عَلَى أُمِّهِ، فقالت: ما أَقْدَمَكَ بِهِ يا ظنر^(٤) وقد كُنْتُ حَرِيصَةً عليه وعلى مَكْتَه عِنْدَكَ؟ قالت: فقلت: نَعَمْ قد بَلَغَ اللهُ بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ^(٥)، وَتَخَوَّفْتُ الأَحْدَاثَ عليه، فَأَذَيْتُهُ عليك كما تحيين، قالت: مَا هَذَا شَأْنُكَ فأصدقيني خَبْرِكَ، قالت: فلم تَدْعُنِي حتى أخبرتها، قالت: أَفَتَخَوَّفْتِ عليه الشَّيْطَانَ؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كَلَّا!! وَالله ما للشَّيْطَانِ عليه مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنِّي لَشَأْنَا، أَفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بَلَى، قالت: رأيتُ جِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنهُ خَرَجَ مِنِّي نَوْرَ أَضَاءِ لي به قِصُورُ بُصْرَى^(٦) من أرضِ الشَّامِ، ثم حملتُ به، فوالله ما رأيتُ مِنْ حَمَلٍ قَطُّ كان أخفَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدته وإنه لو اضعُ يَدَهُ بالأرضِ، رافعُ رأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دعيه عنك وانطلقني راشدةً [١٢٠].

[١٢٠] إسناده ضعيف مسلسل بالعلل.

- (١) البَهُمُ: الضَّغَارُ مِنَ الغنمِ، واحداً بهمة.
- (٢) فهما يسوطانه، يقال: سَطَتِ اللَّبَنُ وَالدَّمُ وَغَيْرُهُمَا أَسُوطَهُ، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته. واسم العود الذي يضرب به المسوط.
- (٣) منتقياً وجهه: أي متغيراً، يقال انتقع وجه الرجل إذا تغير، ويقال: امتقع بالميم أيضاً.
- (٤) الظنرُ: أصل الظنر الناقة التي تعطف على ولد غيرها فتدر عليه، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظنراً بذلك.
- (٥) قال السهيلي: «وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تزوجه خديجة رضي الله عنها، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قد أسننوا فكلّم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من الغنم بقرات، والمرّة الثانية يوم حنين» اهـ كلامه.
- (٦) بُصْرَى: مدينة من أرض الشام، وتقدم بيانها.

قال ابن إسحاق: وحدثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكَلَاعِي، أن نقرأ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها فُصُورَ الشَّامِ^(١)، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نزعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطنت من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشما بطني، واستخرجا قلبي فسقاها، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسل قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه» قال: «ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم، فوزننهم، ثم - قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزننهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم، فوزننهم، فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنتها» [١٢١].

= جهم بن أبي جهم

قال الذهبي في «الميزان» (١٥٩/٢) جهم بن أبي جهم عن أبي جعفر بن أبي طالب وعنه ابن إسحاق لا يعرف له قصة حليلة السعدية. وقد صرح بجهالة الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (١٥٣) فقال: مجهول وذكره ابن حبان في «الثقات».

وجهم أيضاً لم يسمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولا رواية لعبد الله بن جعفر عن حليلة والحديث أخرجه أبو يعلى (٩٣/١٣ - ٩٧) رقم (٧١٦٣) وابن حبان (٢٠٩٤ - موارد) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٢/١ - ١٣٦) والطبراني في «الكبير» (٢٤/٢١٢ - ٢١٥) رقم (٥٤٥) وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٧٤/١ - الجزء الخاص بالسيرة) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٣/٢ - ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق أيضاً وقال: وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي. اهـ. قلت: وشهرته لا تعني صحته. والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١٦٧/٤ - ١٧١) وعزاه لإسحاق وأبي يعلى.

[١٢١] إسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٥/٢). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٤٣٥/١) والحاكم (٦٠٠/٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٤٥/١ - ١٤٦) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وللحديث شواهد من حديث أبي ذر وأبي بن كعب.

(١) قال السهيلي في تأويل هذا النور: «ذلك ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ﷺ؛ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث يبسیر نوراً يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب، فقصها على أخيه عمرو بن العاص، فقال: إن زمزم حفيرة عبد المطلب، وإن هذا النور منهم؛ فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام» اهـ كلامه.

الأنبياء جميعاً رعو الغنم

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَّ رَعَى الْغَنَمَ»^(١) قِيلَ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَنَا» [١٢٢].

- = - حديث أبي ذر
أخرجه الدارمي (٩/١) وابن عساكر (٣٧٢/١ - ٣٧٣) من طريق عروة بن الزبير عن أبي ذر الغفاري به.
- حديث أبي بن كعب
أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٣٩/٥) وابن عساكر (٣٧٥/١ - ٣٧٦) من طريق محمد بن معاذ بن محمد عن أبي بن كعب به وذكره الحافظ الهيثمي في «البداية والنهاية» (٨/٢٢٦) وقال: ورجاله ثقات وتقدم ابن حبان.
- [١٢٢] ذكره ابن هشام هكذا عن ابن إسحاق دون إسناد لكن الحديث صحيح وقد ورد من حديث أبي هريرة، وجابر.
- حديث أبي هريرة
أخرجه البخاري (١٩٩/٥) كتاب الإجارة: باب رعى الغنم على قرابط حديث (٢٢٦٢) وابن ماجه (٧٢٧/٢).
- حديث جابر
أخرجه البخاري (٧٢١/١٠) كتاب الأطعمة: باب الكبث وهو ورق الأراك حديث (٥٤٥٣) ومسلم (١٦٢١/٣) كتاب الأشربة: باب فضيلة الأسود من الكبث حديث (٢٠٥٠/١٦٣) وأحمد (٣/٣٢٦).

(١) قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: الحكمة في إلهام رعي الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما سيكفونونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبغ وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجيروا كسبرها ورفقوا بضعفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمثقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها. وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين.

وفي الفتاوى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعي: أنه يعزر من قال: كان النبي ﷺ راعي غنم. إذا عيّر برعيها.

ينظر السبل (١٥٦/٢ - ١٥٧).

اعتزاز النبي ﷺ بقبيلته وبمن أَرْضَع فيهم

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأصحابه: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ؛ أَنَا قُرَيْشِي وَأَسْتَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [١٢٣].

قال ابن إسحاق: وَرَزَعَمَ النَّاسُ، فيما يتحدثون، والله أعلم، أن أمه السُّعْدِيَّةُ لَمَّا قَدِمَتْ بِهِ مَكَّةَ أَضَلَّهَا فِي النَّاسِ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ بِهِ نَحْوَ أَهْلِهِ؛ فَالْتَمَسَتْهُ، فَلَمْ تَجِدْهُ، فَاتَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ بِمُحَمَّدٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فلما (٣٠/ب) كُنْتُ بِأَعْلَى مَكَّةَ أَضَلَّنِي، فوالله ما أَدْرِي أَيْنَ هُوَ، فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الكَعْبَةِ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَرُدَّهُ، فبِزَعْمُونِ أَنَّهُ وَجَدَهُ وَرَفَقَهُ بِنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ وَرَجُلٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَاتَّيَا بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا لَهُ: هَذَا ابْنُكَ وَجَدْنَاهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ؛ فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَجَعَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ: يُعَوِّدُهُ، وَيَدْعُو لَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ أَمَنَةَ [١٢٤].

قوم من نصارى الحبشة يحاولون أخذ النبي من حليمة مرضعته

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم، أن مما هاج أُمُّهُ السُّعْدِيَّةُ عَلَى رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ - مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه - أَنَّ نَفَرًا مِنَ الحَبِشَةِ نَصَارَى رَأَوْهُ مَعَهَا حِينَ رَجَعَتْ بِهِ بَعْدَ فِطَامِهِ، فَتَنظَرُوا إِلَيْهِ، وَسَأَلُوهَا عَنْهُ، وَقَلْبُوهُ، ثُمَّ قَالُوا لَهَا: لِنَأْخُذَنَّ هَذَا الغلامَ فَلِنُدْهِبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبِلَدِنَا؛ فَإِنَّ هَذَا غُلامٌ كائِنْ لَهُ شَأْنٌ، نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكذب تَقْلِيْتُ بِهِ مِنْهُمْ [١٢٥].

[١٢٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٧/٢) نقلاً عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩١/١) أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر.

وإسناده ضعيف جداً، الواقدي أحد المتروكين وله شاهد مرفوع من حديث أبي سعيد الخدري. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥/٦ - ٣٦) رقم (٥٤٣٧) من طريق مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعرب العرب ولدتي قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأني يأتيني اللحن. والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٢١) وقال: وفيه مبشر بن عبيد وهو متروك. قلت: وفيه أيضاً عن عنة الحجاج وعطية وهما مدلسان. والحديث ذكره الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣٦٤/٢) وقال: سنه ضعيف.

[١٢٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٩/١ - ١٤٥) عن ابن عباس مطولاً. وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي وهو متهم بوضع الحديث. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٩٠/١ - ٩١) بنحوه. أخبرنا محمد بن عمر عن أصحابه فذكره والواقدي متروك.

[١٢٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٧/٢) عن ابن إسحاق.

وفاة أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ وَجَدَهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي كَلَاءَةِ اللهِ وَحَفِظَهُ يُنْبِئُهُ اللهُ نَبَاتًا حَسَنًا؛ لَمَّا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتِّ سِنِينَ تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ [١٢٦].

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِنَةُ تُوَفِّيَتْ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ: كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ [١٢٧].

قال ابن هشام: أم عبد المطلب بن هاشم سَلِمَى بِنْتُ عَمْرٍو النَّجَارِيَّةِ، فَهَذِهِ الْخَوْلَةُ الَّتِي ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ.

كفالة جده عبد المطلب له ورعايته إياه

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَكَانَ يُوَضِّعُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِرَاشًا فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ؛ فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُوَخِّرُوهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ: دَعُوا ابْنِي؛ فَوَاللهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيَسْرُهُ مَا يَرَاهُ يَضَعُ [١٢٨].

[١٢٦] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٤٠/٢) عن ابن إسحاق.

وينظر «الطبقات الكبرى» (٩٣/١) لابن سعد.

[١٢٧] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٨٨/١) من طريق ابن إسحاق. وإسناده ضعيف لإعضاله.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٤٠/٢) من طريق ابن إسحاق به. وأخرجه

ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩٣/١) من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

به. وله أسانيد أخر عند ابن سعد وفيها محمد بن عمر الواقدي وهو متروك.

[١٢٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢١/٢ - ٢٢) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير

في «البداية والنهاية» (٣٤٣/٢). وينظر «الطبقات الكبرى» (٩٤/١ - ٩٥).

وَقَاةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمَا رُتِيَ بِهِ مِنَ الشَّعْرِ

فلما بَلَغَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانِيَةَ سِنِينَ هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وذلك بعد الفيل بثمانِيَةِ سِنِينَ.

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، عن بعض أهله، أن عَبْدَ الْمُطَّلِبِ تُوْفِيَ ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ ثمانِيَةِ سِنِينَ [١٢٩].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سعيد بن سعيد بن المُسَيَّبِ، أن عبد المطلب لما حَضَرَتْهُ الوَقَاةُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ؛ جَمَعَ بَنَاتَهُ - وَكُنَّ سِتَّ نِسْوَةٍ: صَفِيَّةَ، وَبَرَّةَ، وَعَاتِكَةَ، وَأُمَّ حَكِيمِ البَيْضَاءِ، وَأُمَيْمَةَ، وَأَزْوَى - فقال لهن: أَبْكِيَنَّ عَلَيَّ حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُلْنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ [١٣٠].

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أَنَّهُ لما رواه عن محمد بن سعيد بن سعيد بن المسيب كتبه (٣١/أ).

صفية بنت عبد المطلب تبكي أباه

فقالَت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباه [من الوافر]:

أَرَقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ عَلَيَّ رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ^(١)
فَنَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي عَلَيَّ خَدِي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ^(٢)

[١٢٩] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ العباس والعباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. قال الحافظ في «التقريب» (٣٩٧/١) ثقة. والحديث أخرجه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» الجزء الخاص بالسيرة (٦٨/١) من طريق ابن إسحاق. لكن وقع عنده ابن ست سنين وهو خطأ صوابه كما في السيرة.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» (١٨٨/١) من طريق يونس عن ابن إسحاق قال: ومات عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثمان سنين. وينظر «الطبقات الكبرى» (٩٥/١) و«البداية والنهاية» (٣٤٣/٢) و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٠٢ - ١٠٤).

[١٣٠] إسناده ضعيف

محمد بن سعيد بن المسيب. قال الحافظ في «التقريب» (١٦٥/٢) مقبول. قلت: يعني عند المتابعة وإلا فهو لين الحديث كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة التقريب. ثم إنه لم يدرك هذه القصة أصلاً. والأثر أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٨٦/١) من طريق ابن إسحاق.

(١) الصَّعِيدُ: وجه الأرض، وقارعه: ما ظهر منها ووطنه الأقدام.

(٢) الْفَرِيدُ: الخيط المنظوم باللؤلؤ والجمان. والجمان: حَبٌّ يصاغ من الفضة على مثال الجواهر.

عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلِي
عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نَكْسِ
طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعِ شَيْطَمِي
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجِ ذِي فُضُولِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِي وُصُومِ
عَظِيمِ الْجَلْمِ مِنْ نَقْرِ كِرَامِ
فَلَوْ خَلَدَ أَمْرُؤُ لِقَدِيمِ مَجْدِ
لَكَانَ مُخْلَدًا أُخْرَى اللَّيَالِي

برة بنت عبد المطلب تبكي أباه

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكي أباه [من المتقارب]:

أَعْيَيْتِي جُودًا بِدَمْعِ دُرُزِ
عَلَى طَيْبِ الْخَيْمِ وَالْمُعْتَصِرِ^(٩)
عَلَى مَا جَدِ الْجَدِّ وَارِي الزُّنَادِ
جَمِيلِ الْمُحَيَّا عَظِيمِ الْخَطَرِ^(١٠)
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرَمَاتِ
وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَحِرِ

(١) الوغل: الفاسد. وقولها: المبين على العبيد: أرادت العباد، فأوقعت العبيد موقعه.

(٢) الفياض: الكثير الجود.

(٣) والنكس: الدني من الرجال. والشُّحْتُ: الحقيق الدقيق هنا. والشَّيْبَةُ: الذي يسند أموره إلى غيره.

(٤) والأروع: الذي يروعك بجماله. والشَّيْطَمِيُّ: الطويل من الفتيان هنا.

(٥) قال الشيخ أبو ذر: أبلج بالجميم: مشهور، وبالخاء: متكبر. والزمن الجرود: بالجميم زمن القحط، لأنه يجرد الأرض من النبات، ومن رواه: بالحاء المهملة فمعناه الذي يمتنع قطره، لأن حرد قد

تكون بمعنى قطع ومنع. ومنه قولهم: «حاردت الناقة» إذا منعت دؤها أي لبنها.

(٦) الوُصُومُ: العيوب واحدها وصم.

(٧) الخَصَارِمَةُ: الأجواد الذين يكثر عطاؤهم. والملاوثة هنا: جمع ملوث وهو القوي الشديد.

(٨) الحسب التليد: القديم.

وذكر السهيلي البيت الثاني من هذه الأبيات في الروض الأنف (١/١٩٥)، وكذا عجز البيت

الخامس (١/١٩٦).

(٩) عَيْتِي جُودًا بدمع درر، أي: سائل. والخيم: الخلق الحسن، ويقال: الأصل. والمُعْتَصِرُ: الأصل.

(١٠) واري الزناد: أي مسعود فيما يحاوله. والخطر: القدر.

وَذِي الْجِلْمِ وَالْفُضْلِ فِي الثَّائِبَاتِ
لَهُ فَضْلٌ مَجْدٍ عَلَى قَوْمِهِ
أَثْنُهُ الْمَنَائِيَا فَلَمْ تُشَوِّهِ

عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباهما

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباهما [من المتقارب]:

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَبْخَلَا
أَعْيَنِي وَأَسْحَنُفِرَا وَأَسْكَبَا
أَعْيَنِي وَأَسْتَخْرِطَا وَأَسْجُمَا
عَنِّي الْجَحْفَلَ الْعُمَرَ فِي الثَّائِبَاتِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزُّنَادِ
وَسَيْفِ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ
وَسَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَلْقُ الْيَدَيْنِ
تَبَيْتُكَ فِي بَادِخِ بَيْتُهُ
بِدْمَعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النَّيَامِ
وَشُوبَا بُكَاءِكُمَا بِالْإِيدَامِ^(٣)
عَلَى رَجُلٍ غَيْرِ نَكْسٍ كَهَامِ^(٤)
كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِي الذَّمَامِ^(٥)
وَذِي مَضَدِّ بَعْدَ ثَبْتِ الْمَقَامِ
وَمُزْدِي الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ^(٦)
وَفِي عُذْمَلِي صَمِيمٍ لُهَامِ^(٧)
رَفِيعِ الذُّوَابَةِ صَغْبِ الْمَرَامِ^(٨)

- (١) جَمٌّ: كثير. والفجر: بالجيم العطاء الكثير، وبالحاء المعجمة الفخر.
- (٢) فلم تشوه: أي لم تخطه، يقال: رماه فأشواه إذا أخطأه، ورماه فشرأه إذا أصاب مقتله.
- وذكر السهيلي صدر البيت الأخير في الروض (١٩٦/١) ونسب هذه الأبيات ابن سعد في الطبقات الكبرى إلى أميمة بنت عبد المطلب. ينظر: أنساب الأشراف (٨٦/١)، وينظر: الطبقات الكبرى (٩٥/١).
- (٣) أَسْحَنُفِرَا: أي امتدًا في البكاء واجمعًا الدمع، واسكبا: أسبلا، وشوبا: اخلطًا، والإيدام: ضرب الصدر باليدين عند الحزن.
- (٤) اسْتَخْرِطَا: أي أسبلا الدمع، واسجما: أسبلا أيضاً، والكهام: الذي يقصر في أمره، مأخوذ من السيف الكهام وهو الذي لا يقطع.
- (٥) الْجَحْفَلُ: الكثير العطاء، والغمر كذلك.
- (٦) الصَّمْصَامَةُ: السيف القاطع، والمردى: الرجل الذي يفوز على صاحبه عند الخصام.
- (٧) عُذْمَلِيٌّ: شديد، وصميم: خالص، ولهام: شديد أيضاً.
- (٨) تَبَيْتُكَ: أي تأصل وتأئل، والبادخ: المشرف العالي.
- وذكر السهيلي صدر البيت الأخير من هذه الأبيات في الروض الأنف (١٩٨/١). وينظر: أنساب الأشراف (٨٥/١).

أم حكيم البيضاء تبكي أباه

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباه [من الوافر]:

أَلَا يَا عَيْنُنْ، جُودِي وَأَسْتَهْلِي
وَبَكَي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
أَلَا يَا عَيْنُنْ، وَنَحَكِ، أَسْعِفِيَنِي
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي
بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعِ هَاطِلَاتِ
وَصُولاَ لِلْقَرَابَةِ هَبْرَزِيَا
أَبَاكَ الْخَيْرَ تِيَّارَ الْفُرَاتِ (١)
وَأَيْشَا جِيْنَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي
كَرِيمَ الْخِيَمِ مَخْمُودَ الْهَبَاتِ
وَعَيْنَا فِي السِّنِينَ الْمُمْجِلَاتِ (٢)
تَرُوقُ لَهُ عَيْوُنُ التَّاطِرَاتِ (٣)
عَقِيلُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرْجِي
إِذَا مَا الدُّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهَنَاتِ (٤)
وَمَفْرَعُهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجُ
بِدَاهِيَّةٍ وَخَضَمُ الْمُعْضِلَاتِ (٥)
فَبَكِّيهِ وَلَا تَسْمِي بِحُزْنِ
وَبَكَي مَا بَقِيَتِ الْبَاكِيَّاتِ (٦)

أميمة تبكي أباه عبد المطلب

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباه [من الطويل]:

أَلَا هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الضَّنِيفَ الْقَرِيبَ بِيَوْتَهُ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ وَالْمُحَامِي عَنِ الْمَجْدِ (٨)
كَسَبَتْ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَقْسَى
إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخُلُ بِالرَّغْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَاضُ (٩) خَلَّى مَكَائَهُ
فَلَمْ تَثْقِكْكَ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ
فَلَا تَبْعَدَنَّ فَكُلَّ حَيٍّ إِلَى بُغْدِ

- (١) استهلي: أي أظهري البكاء. يقال: استهل الدمع إذا سال وظهر.
- (٢) والتيار: معظم الماء، والفرات: الماء العذب، والفرات أيضاً: نهر بعينه.
- (٣) الهبرزي: الحاذق في أمره.
- (٤) تشتجر العوالي: أي تختلط الرماح في الحرب، والعوالي: أعالي الرماح.
- (٥) الهنات: جمع هنة، وهي كناية عن القبيح.
- (٦) مفرعها: ملجؤها، والمعضلات: الأمور الشداد التي لا يعلم كيف التخلص منها.
- (٧) ولا تسمي: أرادت ولا تسمي فنقلت حركة الهمزة وحذفتها، وينظر: أنساب الأشراف (١/٨٥).
- (٨) الراعي العشيرة، معناه: الحافظ لعشيرته، والحجيج: أسم لجماعة الحجاج.
- (٩) الفياض: الكثير العطاء.

فإني لبك، ما بقيت، وموجع^(١)
سقاك ولي الناس في القبر منطراً
فقد كان زينا للعشيرة كلها

أروى تبكي أباه عبد المطلب

وقالت أزوى بنت عبد المطلب تبكي أباه (٣١/ب) [من الوافر]:

بكت عيني وحق لها البكاء
على سهل الخليفة أبطحي
على الفياض شيبة ذي المعالي
طويل الباع أملس شينظمي
أقرب الكشح أزوع ذي فضول
أبي الضنم أبلج هيرزي
ومغول مالك وزبيع فهير
وكان هو الفتى كرمًا وجوداً
إذا هاب الكماء الموت حتى

على سنج سحيته الحياء^(٣)
كريم الخيم نيته العلاء^(٤)
أبيك الخير ليس له كفاء^(٥)
أغر كأن غرته ضياء
له المجد المقدم والسناء^(٦)
قديم المجد ليس به خفاء^(٧)
وفاصلها إذا التمس القضاء
وبأسا حين تنسكب الدماء^(٨)
كأن قلوب أكثرهم هواء^(٩)

(١) فإني لبك ما بقيت وموجع: أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على معنى الشخص، كما قال [من السريع]:

قامت تبكيه على قبره
تركتني في الدار ذا غربة
أي: شخصاً ذا غربة.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف (١/٨٦).

(٣) السجية: الطبيعة.

(٤) أبطحي: منسوب إلى بطحاء مكة، وهو الموضع السهل منها.

(٥) كفاء: أي مثل.

(٦) الأقب: الضامر، والكشح: الخضر، والسناء: الرفعة والشرف.

(٧) والضنم: الذل. وأبلج وهيرزي قد تقدم تفسيرها.

(٨) تنسكب الدماء: أي تسيل.

(٩) الكماء: الشجعان واحدهم كمي.

مَضَى قُدَمَا بِذِي رُبْدٍ خَشِيبٍ عَلَيْهِ، حِينَ تَبْصِرُهُ، الْبَهَاءُ^(١)
 قال ابن إسحاق: فرغم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه وقد أضمت:
 أَنْ هَكَذَا فابكِني.

نسب المسيب بن حزن

قال ابن هشام: المسيب: ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن
 مخزوم.

حذيفة بن غالب يبكي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال حذيفة بن غانم، أخو بني عدي بن كعب بن لؤي، يبكي عبد
 المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويذكر فضله، وفضل قصي على قريش، وفضل ولده من
 بعده عليهم، وذلك أنه أخذ بغزم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها، فمر به أبو لهب
 عبد العزى بن عبد المطلب فأنفكته [من الطويل]:

أَعْيَيْتِي جُودًا بِالدُّمُوعِ عَلَى الصُّدْرِ
 وَجُودًا بِدَمْعٍ وَأَسْفَحًا كُلُّ شَارِقٍ
 عَلَى رَجُلٍ جَلَدِ الْقَوَى ذِي حَفِيظَةٍ
 عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَاللَّهَى
 عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍ وَنَاعِلٍ
 وَخَيْرِهِمْ أَضْلًا وَفَزَعًا وَمَغْدِنًا
 وَأَوْلَاهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنُّهَى
 وَلَا تَسَامًا أُسْقِيئِمَا سَبَلَ الْقَطْرِ^(٢)
 بُكَاءَ أَمْرِي لَمْ يُشَوِّهِ نَائِبُ الدُّهْرِ^(٣)
 جَمِيلِ الْمُحْيَا غَيْرِ نَكْسٍ وَلَا هَذِرٍ^(٤)
 رَبِيعِ لُؤْيٍ فِي الْقُحُوطِ وَفِي الْعُسْرِ^(٥)
 كَرِيمِ الْمَسَاعِي طَيْبِ الْخِيَمِ وَالنَّجْرِ^(٦)
 وَأَخْطَاهُمْ بِالْمَكْرَمَاتِ وَبِالذِّكْرِ
 وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْحَفَاتِ مِنَ الْعُبْرِ^(٧)

(١) بذى ريد خشيب، تعني: سيفاً، والربد: الطرائق في السيف. والخشيب: الصقيل هنا، والبهاء: هو
 حسن الهيئة وعظمتها، ومن رواه: الهباء: فهو ما يظهر على السيف المجوهر شبيهاً بالغبار. وينظر:
 أنساب الأشراف (١/٨٦).

(٢) السبل: المطر.

(٣) كل شارق: أي عند طلوع الشمس كل يوم، ولم يشوه: أي لم يخطئه، وفي بعض النسخ زيادة بيت
 بعد هذا، وهو قوله: -

وَسُحًا وَجُمًا وَأَسْجُمًا مَا بَقِيئِمَا
 عَلَى ذِي حَيَاةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِي بَيْتِرٍ

(٤) الحفيظة: الغضب مع عزة، والهدر: الكلام الكثير، في غير فائدة.

(٥) الماجد: الشريف، والبهلول: السيد، واللهي: العطايا، ومن رواه: النهي بالنون، فهي العقول
 واحداً نهيته.

(٦) النجر: الأصل، أو الطبع.

(٧) المُجْحَفَات: التي تذهب بالأموال، والْعُبْرُ: السنون المقحطات.

عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهَهُ
 وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمِ
 طَوَى زُمْرًا عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَضْبَحَتْ
 لِيَبْنِكَ عَلَيْنِهِ كُلُّ عَائِنٍ بِكُرْبَةٍ
 بَنُوهُ سَرَاةٌ كَهَلْهُمُ وَشَبَابُهُمْ
 قَصِيُّ الَّذِي عَادَى كِنَانَةَ كُلَّهَا
 فَإِنْ تَكَ عَالَتُهُ الْمَنَائِمَا وَصَرَفُهَا
 وَأَنْقَى رِجَالًا سَادَةً غَيْرَ عَزَلٍ
 أَبُو عُثْبَةَ الْمُلْقَى إِلَيَّ حِبَاءَهُ
 وَحُمْرَهُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى
 وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيطَةٍ
 كَهَوْلُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَتَسْلُهُمْ
 مَتَى مَا تُلَاقِي مِنْهُمْ الدَّهْرَ نَاشِئًا
 هُمْ مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَعِزَّةً
 وَفِيهِمْ بُنَاءٌ لِلْعُلَا وَعِمَارَةٌ
 بِنِكَاحِ عَوْفٍ بِنْتَهُ لِيُجِيرَنَا
 فَسِرْنَا تَهَامِيَّ الْبِلَادِ وَنَجَدَهَا
 وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ قَرِيقُهُمْ
 بَنُوهَا دِيَارًا جَمَّةً وَطَوَوْا بِهَا

يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
 وَعَبْدُ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفَهْرِيُّ (١)
 سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرِ
 وَأَلْ قَصِيٌّ مِنْ مَقِيلٍ وَذِي وَفْرِ (٢)
 تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْنَضَةُ الطَّائِرِ الصَّفْرِ
 وَزَابَطُ بَيْتِ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةَ وَالْأَمْرَ (٣)
 مَصَالِيَتِ أَمْثَالِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ (٤)
 أَعْرُ هِجَانَ اللَّوْنِ مِنْ تَمْرِ عُرِّ (٥)
 نَقِيُّ الشَّيَابِ وَالذَّمَامِ مِنَ الْعَذْرِ
 وَضَوْلُ لَيْذِي الْقُرْبَى رَجِيمٌ بِذِي الصُّهْرِ
 كَتَسَلِ الْمُلُوكِ لَا تَبُورُ وَلَا تُخْرَى (٦)
 تَجِدُهُ بِإِجْرِيًّا أَوْإِلِيهِ يَجْرَى (٧)
 إِذَا أَسْتَبَقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
 وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْرِ
 مِنْ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمْتُنَا بَنُو فِهْرِ (٣٢/أ)
 بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتِ الْعَيْرُ فِي الْبَحْرِ (٨)
 وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا شَيْوُخُ بَنِي عَمْرِو
 بِشَارًا تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ تَبَجِ الْبَحْرِ (٩)

- (١) الفهري: منسوب إلى فهر وروي: القَهْرُ، أي الذي يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل ورجل صوم فطر.
 (٢) العاني: الأسير.
 (٣) غالته: أي ذهبت به وأهلكته، والنقيبة: النفس. ويقال أيضاً: فلان ميمون.. النقيبة، إذا كان يسعد فيما يتوجه له.
 (٤) عَزَلٌ: ضعاف لا سلاح معهم، ومصاليت: شجعان، والرُدَيْنِيَّةُ: الرماح.
 (٥) والحِبَاءُ: العطاء، وهجان اللون: أي أبيض.
 (٦) لا تبور: أي لا تهلك، ولا تحري: أي لا تنقص.
 (٧) الناشي: الصغير. وألإجْرِيًّا: ما يجري عليه من أفعال أبائه ويتعوده.
 (٨) تهامي البلاد: ما انخفض منها، ونجدها: ما علا منها، والعير: الإبل.
 (٩) تبج الشيء: أعلاه ومعظمه.

إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ الشُّخْرِ
 مُخَيَّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ^(١)
 وَلَا نَسْتَقِي إِلَّا بِخُمٍ أَوْ الْحَفْرِ^(٢)
 وَيَغْفِرُونَ عَن قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهَجْرِ^(٣)
 وَهُمْ تَكَلَّمُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَكْرِ^(٤)
 لَهُمْ شَاكِرٌ حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ
 قَدْ أَسَدَى يَدَا مَحْقُوقَةٍ مِنْكَ بِالشُّكْرِ
 بِحَيْثُ أَنْتَهَى قَصْدُ الْفُؤَادِ مِنَ الصُّدْرِ
 إِلَى مَخْتِدٍ لِلْمَجْدِ ذِي تَبِيحِ جَسْرِ^(٥)
 وَسَدَّتْ وَلَيْدًا كُلُّ ذِي سُؤْدَدٍ غَمْرِ^(٦)
 إِذَا حَصَلَ الْأَنْسَابَ يَوْمًا ذُووُ الخُبْرِ
 فَأَكْرَمَ بِهَا مَنْسُوبَةً فِي ذُرَا^(٧) الزُّهْرِ
 وَذُو جَدْنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ^(٨)
 يُؤَيَّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنُّضْرِ

لَكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْرُهُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَطْلُ رِكَابُهُمْ
 وَقَدِمَا غَنِيئَنَا قَبْلَ ذَلِكَ حَقَبَةً
 وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ ذُونَهُ
 وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الْأَحَابِيشِ كُلَّهَا
 فَخَارَجَ^(٩)، إِمَّا أَهْلِكَرْنَ فَلَا تَزَلْ
 وَلَا تَنْسَ مَا أَسَدَى^(١٠) ابْنُ لُبْنَى فَإِنَّهُ
 وَأَنْتَ ابْنُ لُبْنَى مِنْ قُصِي إِذَا أَنْتَمُوا
 وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلَا فَجَمَعْتَهَا
 سَبَفْتَ وَفُتَّ الْقَوْمَ بَدَلًا وَتَائِلًا
 وَأُتِكَ سِرًّا^(١١) مِنْ خُرَاعَةَ جَوْهَرُ
 إِلَى سَبَا الْأَبْطَالِ تُنْمَى وَتُنْتَمِي
 أَبُو شَمِرٍ مِنْهُمْ وَعَمَرُو بَنُ مَالِكِ
 وَأَسْعَدُ^(١٢) قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً

- (١) مخيصة: أي مذلة، ويروي: محبسة وهو معلوم، والأخاشب: جبال بـ «مكة»، وهما جبلان فجمعهما مع ما يليهما.
- (٢) خُمٌ: اسم بئر، والحفر: اسم بئر أيضاً، تقدما.
- (٣) الهَجْرُ: القبيح من الكلام الفاحش.
- (٤) والأحابيش: من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عهدها وذمتها، ونكلوا صرفوا وزجروا.
- (٥) فخارج: أراد يا خارجة، فحذف حرف النداء ورحم.
- (٦) أسدى: أعطى.
- (٧) المختد: الأصل، وجسر: ماض في أموره قوي عليها، والجسر أيضاً، والجسر بفتح الجيم وكسرهما: السد الذي يكون في الماء كالقنطرة يجاز عليها.
- (٨) غمر: كثير العطاء.
- (٩) وأئك سرٌّ: أي خالصة النسب.
- (١٠) الذرى: الأعالي.
- (١١) أبو شمر وعمرو وذو جدن وأبو الجبر وأسعد: كلهم من ملوك اليمن.
- (١٢) أسعد: كان أعظمهم. وذكر السهيلي بعض ألفاظ هذه القصيدة في الروض. ينظر: الروض الأنف (١٩٩/١) وما بعدها. وكذا ذكر البلاذري بعض أبياتها في أنساب الأشراف. ينظر: أنساب الأشراف (٦٦/١).

قال ابن هشام: قوله «أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خُرَاعَةَ» يعني أبا لهب: أمه لُبَّتِي بِنْتُ هَاجِرِ الخُرَاعِي، وقوله «بِإِجْرِيًا أَوْائِلَهُ» عن غير ابن إسحاق.

مطروود الخزاعي يرثي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال مطروود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف [من الكامل]:

يَأْبَيْهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَا سَأَلْتَ عَنِ الْإِبْنِ مَنَافِ
هَبَلْتِكَ أُمَّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِفْرَافِ^(١)
الْمُنْعِمِينَ إِذَا السُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ^(٢) لِسِرْحَلَةِ الْإِيْلَافِ
وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ^(٣)
إِنَّمَا هَلَكْتَ أَبَا الْفِعَالِ، فَمَا جَرَى مِنْ قَوْقٍ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نِطَافِ^(٤)
إِلَّا بِبِكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَخَدَهُ وَالْفَيْضِ مُطَلِّبِ أَبِي الْأَضْيَافِ^(٥)

قَلَمًا هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ وَلِيِّ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، وَهُوَ يَوْمِنْدٍ مِنْ أَخْدَثِ إِخْوَتِهِ سِنًا، فَلَمْ تَزَلْ إِلَيْهِ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامَ وَهِيَ بِيَدِهِ، فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلَايَتِهِ؛ فَهِيَ إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ بِوَلَايَةِ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يُوصِي بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَبَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبِ وَأُمٍّ، أُمَّهُمَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ عَائِدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ.

قال ابن هشام: عَائِدُ: ابن عمران بن مخرُوم.

- (١) هَبَلْتِكَ: أي فقدتك وهو على جهة الإغراء، لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك، ولا أبا لك وأشباهها. والإفْرَافُ: مقارفة الهجعة والدناءة.
- (٢) الظاعنين: يعني الراحلين.
- (٣) تناوح الجبلان: إذا تقابلا، والرُّجَافُ هنا: البحر، وتناوحت: أي: تقابلت.
- (٤) من روى: عقد ذات نطاف، بكسر العين، فالنطاف جمع نطفة، وهي القرط الذي يعلق من الأذن. ومن رواه: عقد، بفتح العين فالنطاف جمع نطفة من الماء، وهو القليل الصافي منه.
- (٥) «أبي الأضياف» يريد أنه كالأب لهم، والعرب تقول لكل جواد «أبو الأضياف».

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ جَدِّهِ؛ فَكَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ [١٣١].

قال (٣٢/ب) ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه، أن رجلاً من لَهَبٍ (قال ابن هشام: وَلَهَبٌ من أزد شنوءة) كَانَ عَائِفاً^(١) فَكَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بَعْلَمَانِهِمْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَعْتَافُ لَهُمْ فِيهِمْ، قَالَ: فَأَتَى بِهِ أَبُو طَالِبٍ - وهو غلام - مَعَ مَنْ يَأْتِيهِ؛ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ شَغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: الْغُلَامُ، عَلَيَّ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَيَلِّكُمُ!! رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ الَّذِي رَأَيْتُمْ آفِئاً، فَوَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ، قَالَ: فانطلق أبو طالب [١٣٢].

قِصَّةُ بَحِيرَى

النبي يتعلّق بعمه أبي طالب ليأخذه معه إلى الشام

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِراً إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبَّ^(٢) بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَزْعُمُونَ، فَرَقَّ لَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُخْرَجُنَّ بِهِ مَعِي، وَلَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَفَارِقُهُ أَبَداً، أَوْ كَمَا قَالَ، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرُّكْبَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا زَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَى فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مِنْذُ قَطْرَ رَاهِبٍ إِلَيْهِ يَصِيرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابِ فِيهَا، فِيمَا يَزْعُمُونَ، يَتَوَارَثُونَهُ كَإِبْرَأَ عَنْ كَابِرٍ، فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى، وَكَانُوا كَثِيراً مَا يَمْرُونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ، حَتَّى كَانَتْ ذَلِكَ الْعَامَ؛ فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيباً مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَاماً كَثِيراً، وَذَلِكَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - عَنْ شَيْءٍ رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ: يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرُّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَغَمَامَةٌ تُظَلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيباً مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتْ الشَّجَرَةَ وَتَهَضَّرَتْ^(٣) أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

[١٣١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٤٤) من طريق ابن إسحاق.

[١٣٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٤٤ - ٣٤٥) عن ابن إسحاق.

- (١) العائف هنا: الذي يفرّس في خلقه الإنسان، فيخبر بما تؤول حاله إليه.
- (٢) صب به رسول الله ﷺ: أي مال إليه. ورق قلبه له، ومن رواه: صب، فمعناه: تعلّق به وامتسك.
- (٣) تهضرت أغصان الشجرة: أي مالت وتدلّت، تقول هضرت الغصن، إذا جذبته إليك حتى يميل.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَظَلَ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعْتِهِ وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامَ فَصُنِعَ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ؛ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَخْضُرُوا كُلَّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ وَعَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ، يَا بِحِيرَى، إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا وَقَدْ كُنَّا نَمُرُ بِكَ كَثِيرًا!! فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ لَهُ بِحِيرَى: صَدَقْتُ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ، وَلَكِنِّكُمْ ضَيْفٌ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعُ لَكُمْ طَعَامًا فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلَّكُمْ؛ فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ - لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ - فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ بِحِيرَى فِي الْقَوْمِ وَلَمْ يَرِ الصُّفَّةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنِّي طَعَامِي، قَالُوا لَهُ: يَا بِحِيرَى، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غُلَامًا وَهُوَ أَخَذْتُ الْقَوْمَ سِنًا فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِهِمْ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا، اذْعُوهُ فَلْيَخْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ مَعَ الْقَوْمِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى إِنْ كَانَ لَلْغُلَامِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الطَّعَامِ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ^(١)، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا رَأَى بِحِيرَى جَعَلَ يَلْحِظُهُ لَخَطَأً شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، وَقَدْ (٣٣/ أ) كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا قَامَ إِلَيْهِ بِحِيرَى فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ، أَسَأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسَأَلُكَ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بِحِيرَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا؛ فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا، فَإِنَّهُ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهُمَا» فَقَالَ بِحِيرَى: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسَأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: «سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ» فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ: مِنْ تَوْمِهِ، وَهَيْئَتِهِ، وَأَمُورِهِ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْبِرُهُ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بِحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ.

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم^(٢).

بحيرى ينصح لأبي طالب بالعودة بالنبي

قال ابن إسحاق: فلما فرغ أقبال على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال:

(١) فاحتضنه: أي أخذه مع حضنه أي مع جنبه.

(٢) المحجم: الآلة التي يحجم بها، والمحجم: المصدر. وقال السهيلي: يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئاً، وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود.

فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده، واخذز عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغته شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسرع به إلى بلاده؛ فخرج به عمه أبو طالب سرياً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قوم من أهل الكتاب يحاولون إيذاء النبي فيردهم بحيرى

فزعموا، فيما روى الناس، أن زُزيراً وتَمَاماً ودَريساً - وهم نفرٌ من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرى، في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه، فَرَدُّهُمْ عنه بحيرى، وذَكَرَهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أَجْمَعُوا لما أرادوا به لم يَخْلُصُوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه [١٣٣].

كلاءة الله تعالى نبيه وحفظه منذ نشأته

فَنَسَبَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْدَارِ الجاهلية؛ لما يريد به مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمِهِ مَرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَذَسُّ الرُّجَالَ نَنْزَهَا وَتَكْرُمًا، حَتَّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إِلَّا «الأمين» لِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ.

[١٣٣] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦/٢ - ٢٩) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٤٥/٢ - ٣٤٦) من طريق ابن إسحاق وقال: هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد له وقد روى نحوه من طريق مسند مرفوع اهـ. قلت: أما الطريق المسند المرفوع والذي أشار إليه الحافظ ابن كثير فأخرجه ابن أبي شيبه (٤٧٩/١١) كتاب الفضائل: والترمذي (٥٩٠/٥) كتاب المناقب: باب ما جاء في بدء نبوته ﷺ حديث (٣٦٢٠) والحاكم (٢/٦١٥ - ٦١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٤/٢ - ٢٦) وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٠٩) والخرانطي في «الهواتف» كما في الخصائص الكبرى (١٤١/١) و«البداية والنهاية» (٣٤٦/٢) كلهم من طريق عبد الرحمن بن غزوان بن نوح قراد أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: أظنه موضوعاً وبعضه باطل. وقال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (١٤٢/١) إلا أن الذهبي ضعف الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالاً فإن أبا بكر لم يكن إذ ذاك متأهلاً ولا اشترى بلالاً وقد قال ابن حجر في «الإصابة» الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواه.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما ذُكِرَ لي، يحدث عمّا كان الله يَحْفَظُهُ به في صَغَرِهِ وأمر جاهليته أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي غُلَمَانٍ قَرِيشٍ نَتَقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْتَعِبُ بِهِ الْغُلَمَانُ، كُلُّنَا قَدْ تَعَرَّى وَأَخَذَ إِزَارَهُ فَجَعَلَهُ عَلَيَّ رَقَبَتَهُ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ: فَإِنِّي لِأَقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأُدْبِرُ إِذْ لَكَمَنِي^(١) لَأَكْمَ مَا أَرَاهُ لِكَمَةِ وَجِيعَةٍ؛ ثُمَّ قَالَ: شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارُكَ، قَالَ فَأَخَذْتُهُ وَشَدَدْتُهُ عَلَيَّ، ثُمَّ جَعَلْتَ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَيَّ رَقَبَتِي^(٢)، وَإِزَارِي عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي» [١٣٤].

حَرْبُ الْفِجَارِ

قال ابن هشام: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ (٣٣/ب) النَّحْوِيُّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ؛ هَاجَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ^(٣) بَيْنَ قَرِيشٍ وَمِنْ مَعَهَا مِنْ كِنَانَةَ، وَبَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ.

[١٣٤] أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ» (٣٠/٢ - ٣١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٣٤٨/٢ - ٣٤٩) عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ. وَيَنْظُرُ «سَبِيلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ» (١٤٧/٢).

(١) لَكَمَنِي: أَي لَكَزَنِي.

(٢) قَالَ السَّهْلِيُّ: هَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بِنْيَانِ الْكَعْبَةِ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ وَإِزَارَهُ مَشْدُودَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ فَفَعَلْتَ، فَسَقَطَ مَغْنَمًا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِزَارِي، إِزَارِي، فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ، وَفِي آخِرِ أَنَّهُ لَمَّا سَقَطَ ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ أَشَدَّ إِزَارِكَ يَا مُحَمَّدَ، وَإِنَّ لَأَوَّلَ مَا نُودِيَ وَلَعَلَّ هَذَا وَقَعَ لَهُ ﷺ مَرَّتَيْنِ: فِي حَالِ صَغَرِهِ، وَعِنْدَ بِنْيَانِ الْكَعْبَةِ اهـ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ عَيُونِ الْأَثَرِ بِسَنَدِهِ وَابْنُ عَسَاكِرٍ يَصِلُ بِهِ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَهْمُ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، كَلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمَا، أَي: مِنْ فَعْلَهُمَا، قَلْتُ لَيْلَةَ لَفْتَى كَانَ مَعِيَ مِنْ قَرِيشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِهِ يَرَعَاها: أَبْصَرَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمَرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفَتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غَنَاءً، وَصَوْتَ دَفُوفٍ، وَمِزَامِيرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانٌ تَزُوجُ فُلَانَةَ، لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ، فَلهُوتُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ، حَتَّى غَلَبَتْني عَيْنِي. فَنَمْتُ، فَمَا أَبْقَظَنِي إِلَّا مَسَّ الشَّمْسُ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتَهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ اللَّيْلَةَ الْآخَرَى مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى كَرَمَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنُبُوَّتِهِ».

(٣) الْفِجَارُ بِكَسْرِ الْفَاءِ بِمَعْنَى الْمَفَاجِرَةِ، كَالْقِتَالِ بِمَعْنَى الْمَقَاتِلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قِتَالُهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَفَجَرُوا فِيهِ جَمِيعًا فَسَمِيَ الْفِجَارُ. وَكَانَتْ لِلْعَرَبِ فِجَارَاتٌ أَرْبَعٌ ذَكَرَهَا الْمَسْعُودِيُّ. يَوْمَ شَمُظَةَ: بِشَيْنٍ مَعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَمِيمٌ سَاكِنَةٌ فِظَاءٌ مَعْجَمَةٌ. يَوْمَ الْعَيْلَاءِ: بِعَيْنٍ مَهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَبَاءٌ مَوْحِدَةٌ سَاكِنَةٌ فِلَامٌ مَدْدُودَةٌ.

سبب حرب الفجار

وَكَانَ الَّذِي هَاجَهَا أَنَّ عُرْوَةَ الرَّحَالِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ أَجَارَ لَطِيمَةً^(١) لِلتُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ، فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاضُ بْنُ قَيْسٍ أَحَدُ بَنِي ضَمْرةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ:

أَتَجِيرُهَا عَلَيَّ كِنَانَةً؟ قَالَ: نَعَمْ وَعَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ فَخَرَجَ فِيهَا عُرْوَةُ الرَّحَالِ، وَخَرَجَ الْبَرَّاضُ يَطْلُبُ غَفْلَتَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ^(٢) بِالْعَالِيَةِ غَفَلَ عُرْوَةً، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْبَرَّاضُ؛ فَقَتَلَهُ فِي الشُّهْرِ الْحَرَامِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْفِجَارَ، وَقَالَ الْبَرَّاضُ فِي ذَلِكَ [مَنْ الْوَافِرُ]:

وَدَاهِيَةَ تُهَيِّمُ النَّاسَ قَبْلِي شَدَدَتْ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضَّرُوعِ^(٣)
رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلَالٍ كَفِّي فَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِدْعِ الصَّرِيعِ

وقال لبيدُ بنُ ربيعةَ بنِ مالكِ بنِ جعفرِ بنِ كلابِ [من الوافر]:

أَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي كِلَابٍ وَعَامِرَ وَالْحُطُوبَ لَهَا مَوَالِي
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي نُمَيْرٍ وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالٍ^(٤)

= يوم شرب: بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة.

الخزيرة: بحاء مهملة تصغير حرة.

الأربعة أسماء أماكن.

الغائبس: بعين مهملة فتون مخففة فالف فباء موحدة مكسورة فسین مهملة جمع عنبس وهو الأمد. قال في الصحاح: العنابيس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو، وسموا بالأمد والباقون يقال لهم الأعياص بعين مهملة فمشناة تحتية فصاد مهملة وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.

ينظر: السبل (١٥٣/٢).

(١) اللطيمة: الإبل تحمل التجارة والطيب والبرّ وأشباهها.

(٢) حتى إذا كان بتيمن ذي طلال: الجيد ذي طلال بالتشديد، كما قال:

رفعت له بذِي طلالٍ كَفِّي

وأما قول لبيد:

عند تَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ

فإنما خففه لضرورة الشعر.

(٣) وأرضعت الموالي بالضروع: أشار إلى قولهم: هو لثيم راضع، وينظر: البداية والنهاية (٣٥٣/٢).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٣٥٤/٢).

بِأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَالَ أَمْسَى مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ
وهذه الآيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام.

القتال بين الفريقين

فَأَتَى آتٍ قُرَيْشًا فَقَالَ: إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ، وَهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِـ
«عكاظ»^(١)، فَارْتَحَلُوا وَهَوَّازُنُ لَا تَشْعُرُ بِهِمْ ثُمَّ بَلَّغَهُمُ الْخَبْرُ، فَأَتَبَعُوهُمْ، فَأَدْرَكُوهُمْ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلُوا الْحَرَمَ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَدَخَلُوا الْحَرَمَ، فَأَمْسَكَتْ عَنْهُمْ هَوَّازُنُ، ثُمَّ اتَّقُوا
بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَيَّامًا وَالْقَوْمُ مُتَسَانِدُونَ^(٢) عَلَى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ رُئِيسٍ مِنْهُمْ، وَعَلَى
كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَيْسٍ رُئِيسٍ مِنْهُمْ، وَشَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَيَّامِهِمْ،
أَخْرَجَهُ أَعْمَامُهُ مَعَهُمْ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أَنْبِلُ عَلَى أَعْمَامِي»
أَيُّ: أَرَدْتُ عَنْهُمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا [١٣٥].

سِنُّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عَامَ الْفَجَارِ وَحُضُورِهِ الْقِتَالِ

قال ابن إسحاق: هَاجَتْ حَزْبُ الْفَجَارِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَشْرِينَ
سَنَةً. وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْفَجَارِ بِمَا اسْتَحَلَّ هَذَانِ الْحَيَّانِ كِنَانَةَ وَقَيْسَ عُيْلَانَ فِيهِ مِنَ الْمَحَارِمِ
بَيْنَهُمْ، وَكَانَ قَائِدُ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ حَزْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
لَقَيْسٍ عَلَى كِنَانَةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِكِنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ [١٣٦].

قال ابن هشام: وحديث^(٣) الفجار أطول مما ذكرت، وإنما منعي من استقصائه قطعته

[١٣٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٥٣/٢ - ٣٥٤) عن ابن هشام. وينظر الكلام على
حرب الفجار في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٠١/١ - ١٠٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (٢/٢)
١٥٢ - ١٥٣.

[١٣٦] ينظر «البداية والنهاية» (٣٥٣/٢ - ٣٥٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/٢).

- (١) عكاظ: سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيها كل سنة قبل الإلهال بالحج.
 - (٢) القوم متساندون: أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم.
 - (٣) وقد فر ابن هشام معنى حرب الفجار.
- وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: قد حضرته - يعني: حرب الفجار - مع عمومي ورميت فيه
باسمهم وما أحب أني لم أكن فعلته وكنت أنبل على أعمامي.
- وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاهوا للموعد، وكان حرب بن
أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره فضره حرب وأشفق من خروجه معه
فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفيين ينادي: يا معشر مضر علام تفانون؟ =